

أحداث أكتوبر 2000 – تسلسل الأحداث

في الثامن والعشرين من أيلول 2000، قام أرييل شارون، الذي كان يترأس آنذاك حزب الليكود وكان عضواً في الكنيست، بزيارة الحرم الشريف محاطاً بعشرات الجنود. في اليوم التالي وفي أعقاب هذه الزيارة، تظاهر الآلاف من الفلسطينيين، في المسجد الأقصى، وقامت قوات الأمن الإسرائيلية بإطلاق النار على المتظاهرين. واندلعت بعد هذه الأحداث صدامات عنيفة في الأراضي المحتلة، أدت إلى موت وجرح العديد من الفلسطينيين، وكانت إنطلاقة لإنفاضة الأقصى المستمرة حتى يومنا هذا.

في الثلاثين من أيلول 2000، دعت لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية في إسرائيل، المواطنين العرب إلى الإضراب العام تضامناً مع أبناء شعبهم في الأراضي المحتلة. وخرج المواطنون العرب في يوم الغد بمظاهرات الإحتجاج في معظم القرى والمدن العربية في إسرائيل. وقد لاقت هذه المظاهرات رداً عنيفاً من قبل قوات الشرطة الإسرائيلية التي فتحت النار على المتظاهرين واستخدمت الغاز المسيل للدموع والرصاص المعدني المغلف بالمطاط والذخيرة الحية. وقد أدت أحداث الأول من أكتوبر 2000 إلى وفاة وجرح العشرات من المواطنين العرب من قبل رصاص الشرطة الإسرائيلية. ففي أم الفحم قتل رمياً بالرصاص محمد أحمد جبارين (23). كما أصيب أحمد جبارين من معاوية (18) في نفس اليوم بالرصاص وتوفي متأثراً بجراحه في اليوم التالي. كما قتل رمياً بالرصاص في الناصرة إياد لوابنة (26). وفي جت المثلث، أصيب رامي غرة (21) وتوفي متأثراً بجراحه في نفس اليوم. هذا بالإضافة إلى إصابة الكثيرين في أماكن مختلفة برصاص الشرطة الموجه إليهم. وفي الثاني من تشرين الثاني 2000، وصل عدد المواطنين العرب القتلى في أكتوبر إلى ذروته. ففي ذلك اليوم استشهد خمسة مواطنين عرب: علاء نصار (18) وأسيل عاصلة (17) من عرابة؛ عماد غنايم (25) ووليد أبو صالح (21) من سخنين؛ مصلح أبو جراد (19) من غزة والذي استشهد في أم الفحم. كما أصيب الكثيرون بনিরান الشرطة إياها. وفي الثالث من تشرين الثاني 2003، أصيب محمد خماسي (19) من كفر كنا بالرصاص واستشهد في اليوم التالي. كما أصيب رامز بشناق (24) من كفر مندا بالرصاص واستشهد في نفس اليوم. وفي الثامن من تشرين الثاني 2000، هاجم سكان "نتسيرت عيليت" اليهود الحيّ الشرقيّ في مدينة الناصرة. ووجهت الشرطة أسلحتها باتجاه المتظاهرين من سكان الناصرة العرب فقط، والذين خرجوا رداً على الهجوم عليهم من جهة "نتسيرت عيليت". ونتيجة لرصاص الشرطة استشهدا عمر عكاوي (42) ووسام يزبك (25) من الناصرة وأصيب كثيرون آخرون.

أطلقت الشرطة الرصاص الحي والرصاص المعدني المغلف بالمطاط باتجاه المتظاهرين العزل، مستعينة بالقناصة أيضاً، من دون أن يتعرض أفرادها أو غيرهم لأي خطر. وتمت الإستعانة بالقناصة، خاصة في منطقة أم الفحم، عن طريق تصويب ثلاثة قناصة الرصاص الحي باتجاه نفس الهدف: متظاهر واحد. وتثبتت الشهادات والإفادات العديدة التي قدمت إلى لجنة التحقيق، لا سيما تلك التي قدمها مركز عدالة، تثبت بوضوح أن الشرطة أطلقت النار لكي تلتحق أكبر ما يمكن من الأذى، وليس بهدف حماية نفسها أو غيرها. ولعل أبرز شاهد على ذلك

هو تلك الاصابات التي ادت الى مقتل الشهداء، وهي إصابات في النصف العلوي للجسم: في الرأس (الشهداء رامز بشناق ووسام يزيك (من الخلف) او في الوجه (الشهداء رامي غرة وأحمد جبارين وعماد غنايم) او في العنق (الشهيد أسيل عاصلة (من الخلف)، او في الصدر (الشهداء إياد لوابنة وعمر عكاوي (من الخلف) ومصالح أبو جراد)، أو في الخاصرة (الشهيد وليد أبو صالح). كما أدى إطلاق الرصاص نحو المتظاهرين الى إصابة المئات منهم، حيث كانت غالبية هذه الإصابات في الجزء العلوي من الجسد أيضاً.

ولم يكن صدفة إستعمال الشرطة للوسائل الفتاكة، في تعاملها مع مظاهرات الاحتجاج للمواطنين العرب في أكتوبر 2000، ولا سيما اطلاق رصاص القناصة. وقد تبين لطاقتهم عدالة من خلال إطلاعهم على الوثائق الموجودة أمام لجنة التحقيق، أن الخطط التي تدربت عليها الشرطة للتعامل مع مظاهرات واسعة في المجتمع العربي شملت بشكل واضح استعمال وسائل قمع شديدة، بما فيها الاستعانة بالقناصة. وكانت أبرز هذه الخطط تلك المدعوة بـ "كيسم هامنغيناها" (קסם המנגינה)، والتي تدربت قوات الشرطة على أوامرها أكثر من مرة، وصولاً الى "لعبة الحرب" التي أجريت في مركز تدريب الشرطة في شفاعمرو، قبل شهر واحد فقط من مظاهرات أكتوبر 2000. وقد إفتتحت الشرطة هذا الاجتماع، الذي شمل قيادات الشرطة والجيش و"الشاباك"، بالكلمات التالية:

"ברוכים הבאים למשחק מלחמה, 'רוח סערה'. אנחנו מתארחים היום ומארחים היום את כולכם במרכז ללימודי משטרה ולפני כ- 52 שנה הגזרה הזאת, שאנחנו נמצאים עליה, נכבשה על ידי חטיבה שבע וחטיבת גולני. התאריך המדויק: 14.7.48. והנה, 52 שנה לאחר מכן, אנחנו עוסקים כמעט באותן סוגיות, אמנם לא כיבוש הארץ, אבל שמירתה."

الترجمة للعربية:

"أهلاً وسهلاً بكم إلى لعبة الحرب، "رياح العاصفة". نحن نُستضاف اليوم ونستضيف الجميع، في مركز دراسات الشرطة، وقبل حوالي 52 سنة أحتلت هذه المنطقة، التي نتواجد فيها الآن، على يد الكتيبة السابعة وكتيبة "جولاني". التاريخ الدقيق: 14.7.1948. وها نحن الآن، بعد مرور 52 سنة على ذلك، نجد أنفسنا منشغلين في نفس المسائل تقريباً، ليس إحتلال البلاد، ولكن الحفاظ عليها."

وقام قائدو الشرطة، وبينهم قائد الشرطة آنذاك يهودا فيليك بإرشاد رجال الشرطة على التعامل مع مظاهرات المجتمع اليهودي بصورة مرنة، أي بشكل عكسي تماماً لأوامر الشرطة فيما يتعلق بمواجهة مظاهرات المجتمع العربي. وكانت قيادة الشرطة قد قيّمت أداءها خلال مظاهرات الاحتجاج للمجتمع العربي بشكل إيجابي، من خلال وثيقة رسمية للشرطة عرضت في مؤتمر لها يوم 11.8.2000، أي بعد نحو شهر فقط من المظاهرات. وورد في هذه الوثيقة ان الإستعانة بالقناصة ضد المتظاهرين كانت مفيدة، اذ شكل ذلك عاملاً رادعاً لهم. أي، وباعتراف الشرطة، لم تكن الاستعانة بالقناصة للدفاع عن الذات أو عن آخرين، بل لإلحاق الأذى بالمتظاهرين كعامل رادع لهم.

يجدر التنويه الى أن الاستعانة بالوسائل الفتاكة ضد المتظاهرين العرب جاءت كنتيجة مباشرة لأوامر رئيس الحكومة آنذاك، أيهود براك، والتي أصدرها لقيادة الشرطة خلال إجتماع خاص عقده في بيته مع هذه القيادة، بإشتراك شلومو بن عامي، وزير الأمن الداخلي آنذاك، في الليلة بين 1.10.2000 و 2.10.2000. وسمح براك خلال هذه الجلسة للشرطة "باستعمال كل الوسائل" (كما ورد على لسانه في مقابلة أجراها في الراديو صباح 2.10.00) في التعامل مع المتظاهرين العرب، على الرغم من علمه وعلم كل من تواجد في هذا الاجتماع الحاسم، باستشهاد شاب في منطقة أم الفحم وإصابة العديد من الشبان هناك، جراء إطلاق قوات الشرطة للنار. ولم ينجح براك حتى اليوم في إظهار أي توثيق لما جرى في هذا الاجتماع، الا أن هناك روايات متناقضة رواها مساعده حول سبب عدم وجود مثل هذا التوثيق.

وعلى الرغم من نفي براك وبن عامي لعلمهما باستعانة قوات الشرطة بالرصاص الحي وبالقناصة، الا بعد بدء لجنة التحقيق عملها، فإن هناك أدلة عديدة تشير الى عكس ذلك. فقد نشرت الصحافة العبرية الرئيسية، لا سيما "يديعوت أحرونوت" و"هآرتس"، حول هذا الموضوع إبتداءً من يوم 2.10.2000، كما أن نشرة الأخبار المركزية في القناة الاولى ذكرت يوم 2.10.00 مساءً، وبشكل واضح، الإستعانة بالقناصة في أم الفحم في ذلك اليوم. ولكن، وحتى لو افترضنا أن براك وبن عامي لم ينجحا في متابعة الأخبار المنشورة في وسائل الاعلام العبرية المركزية، تبقى هناك الأدلة المباشرة المشيرة الى علمهما بإطلاق الرصاص الحي وحتى الاستعانة بالقناصة قبل بدء لجنة التحقيق عملها. وبالنسبة لبراك، فقد طلب من أحد مساعديه الاستفسار بصدد ما يجري مع أليك رون من إطلاق نار، كما أن موضوع استعمال الشرطة للرصاص الحي طرح خلال جلسة الحكومة مساء 9.10.2000. وبالنسبة لبن عامي، فقد كان شارك في مؤتمر قيادة الشرطة يوم 11.8.2000 الذي تم فيه تقييم عمل الشرطة، والاستعانة بالقناصة تحديداً، بشكل ايجابي. وأثنى بن عامي على الجهود التي بذلتها الشرطة خلال مظاهرات أكتوبر 2000، وأعلن أمام قيادة الشرطة دعمه ودعم الحكومة غير المشروط للشرطة خلال مظاهرات الاحتجاج وبعدها.